خيرهم فقال نعوذ بالله من كل ما يكره تعالى لأن أموت مومنا مهزولا احب
الي من ان اموت منافقا سمينا ولما قدم عمر بن هبيرة واليا على العراق احضر
احضر الحسن والشعبي فقال لهما اصلحكما الله ان امير المومنين يزيد بن عبد الملك
يكتب الي كتابا اعرف في تنفيذها الهلكة فاخاف ان اطعته غضب الله وان عصيته
لم آمن سطوته فما تريان لي فقال الحسن للشعبي يا ابا عمرو اجب الامير فرفق
له في القول واخط في هوى ابن هبيرة وكان ابن هبيرة لا يستشفي دون ان يسمع
قول الحسن فقال قل ما عندك يا ابا سعيد فقال الحسن اوليس قد قال الشعبي
فقال ابن هبيرة فما تقول انت فقال اقول والله انه يوشك ان ينزل بك ملك
من ملايكة الله فظ غليظ لا يعصي الله ما امره فيخرجك من سعة قصرك الى ضيق
قبرك فلا يغني عنك ابن عبد الملك شيئا واني لارجو ان الله عز وجل سيعصمك
من يزيد وان يزيد لا يعصمك من الله فاتق الله ايها الامير فانك لا تامن ان ينظر
الله اليك وانت على اقبح ما تكون عليه من طاعة يزيد نظرا يمقتك بها فيغلق عنك
باب الرحمة واعلم اني اخوفك ما خوفك الله سبحانه حين يقول ذلك لمن خاف
مقامي وخاف وعيد وانا كنت مع الله عز وجل في طاعته كفاك بوايق يزيد
وان كنت مع يزيد على معصية الله وكلك الله الى يزيد حين لا يغني عنك شيئا
فبكى عمر بن هبيرة بكاء شديدا ثم انصرفا فاجزل جايزة الحسن وقصر في جايزة
الشعبي ثم خرج الشعبي الى المسجد فلما اجتمع اهل مجلسه قال ايها الناس من استطاع
منكم ان يوثر الله عز وجل على خلقه فليفعل ان الامير ابن هبيرة ارسل الي
والى الحسن فوالذي نفسي بيده ما علم الحسن شيئا جهلته ولكني اردت ابن هبيرة
واردت رضاه وقصرت في قولي له فاقصاني الله وابعدني وكان الحسن مع الله
عز وجل فقربه وادناه وسخر له ابن هبيرة فآثره وحباه وقيل خرج الحسن
يوما من عند ابن هبيرة فاذا هو بالقراء على بابه فقال ما اجلسكم هاهنا لا كثر الله
جمعكم تريدون الدخول على هولاء الخبثاء فوالله ما مخالطتهم مخالطة الابرار
ولا مجالستهم مجالسة الاخيار تفرقوا فرق الله بين ارواحكم واجسادكم ولا كثر
في المسلمين مثلكم حذوتم نعالكم وشمرتم ثيابكم وجززتم روسكم وحلقتم اعنتكم
فكنتم شر عصابة حلقوا الشوارب للطمع فضحتم القراء لا جمع الله شملكم اما
والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم ولكنكم رغبتم فيما في ايديهم فزهدوا

في علمكم فابعد الله من ابعد وما اخشبه غيركم ثم انصرف مغضبا وروي ان الحجاج
بنى دارا بواسط واحضر الحسن ليراها فلما دخلها قال الحمد لله ان الملوك ليرون لانفسهم
عزا وانا لنرى فيهم كل يوم عبرا يعمد احدهم الى قصر فيشيده والى فرش فيتخذه
والى ملابس ومراكب فيحسنها ثم يحف به ذباب طمع وفراش نار واصحاب سوء
فيقول انظر واما صنعت فقد رايناها المغرور فكان ماذا يا افسق الفاسقين
اما اهل السموات فقد مقتوك واما اهل الارض فقد لعنوك بنيت دار الفناء
وخربت دار البقاء وغررت في دار الغرور لتذل في دار الحبور ثم خرج وهو
يقول ان الله سبحانه اخذ عهده على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه وبلغ
الحجاج ما قال فاشتد غضبه وجمع اهل الشام فقال ايشتمني عبيد اهل البصرة
وانتم حضور فلا تنكرون ثم امر باحضار الحسن فجاء وهو يحرك شفتيه بما لم يسمع
حتى دخل على الحجاج فقال ايها يا ابا سعيد اما كان لامارتي عليك حق حين قلت ما
قلت فقال يرحمك الله ايها الامير ان من خوفك حتى تبلغ امنك ارفق بك واحب
فيك ممن آمنك حتى تبلغ الخوف وما اردت الذي سبق الى وهمك والامر اليك بيدك
العفو والعقوبة فافعل الاولى بك وعلى الله فتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل فاستحيا
الحجاج منه واعتذر اليه واكرمه وحباه وقيل جاء رجل من الشرط كان
على هناة الى الحسن فقال اصلحك الله عزمت على تركها لنبيذ فقال له الحسن والا
تبات ما هو اولى بك آخر التوبة من النبيذ حتى يكون هو شر عملك وحينئذ تب منه
وقيل سمع الحسن رجلا من اصحاب الحجاج يذكر عليا رضي الله عنه بسوء
فقال لقد استوجبها فقال الرجل النار يا ابا سعيد فقال نعم وبئس المصير قال فهل
من توبة عافاك الله فقال الحسن ثكلتك امك وهل لك ان لم تتب بعذاب الله
من طاقة ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقيل لما ولي عدي بن ارطاة
البصرة عزم على ان يولي الحسن القضاء فهرب الحسن واستتر وكتب اليه اما
بعد ايها الامير فان الكاره للامر غير جدير بقضاء الواجب فيه وان العامل
للعمل بغير نية حقيق ان لا يعان عليه ولك في المختارين للامر الذي دعوتني اليه
كفاية وقناعة وتصدك اياهم وتعويلك عليهم اولى بك واصون لعملك فانه لا
خير في الاستعانة فانه لا خير في الاستعانة بمن لا يرى ان العمل الذي يدعى
اليه واجب عليه وفرض لازم له فعافني ايها الامير عافاك الله واحسن الي بترك

Copyright © King Saud University